

أضواء البيان

@ 14 @ فلذلك كان غير معذور . والعلم عند الله تعالى . .

قوله تعالى : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أُخْرِجَ لِعِبَادِهِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } . .

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه صلى الله عليه وسلم : (أن يسأل سؤال إنكار من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، كاللباس في الطواف ، والطيبات من الرزق كالأنعام ، والحرث التي حرّمها الكفار ، وكاللحم والودك الذي حرّمه بعض العرب في الجاهلية في الحج .

وشرح في مواضع أخر : أن من قال ذلك على الله فهو مقتر عليه جل وعلا ، كقوله : { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } ، وقوله : { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } ، وقوله : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَأَللّٰهُ أَزِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَمَا تَكْفُونَ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَّوْنَ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْهُ عَمَلًا إِلَّا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ كُفْرًا شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْآسِ فِي الرَّضِ وَالْإِسْمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * إِلَّا إِنِّى أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ لَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ خَيْرَةٌ لَا تَبْدِيلَ لِلْكَلِمَاتِ الّٰهِ ذَالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * إِلَّا إِنِّى لَلّٰهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْآسِ رَضٍ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ *

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُْ السَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَانَ اللَّهِ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ
عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ *
قُلْ إِنَّ السَّادِّينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ
فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكُمْ مَنِّقَامِي وَتَذَكَّرِي بآيَاتِ اللَّهِ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْهِمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ * فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوا بِوَعْدِ اللَّهِ وَآمَنَ
مَعَهُ فِي الْفُلِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَى قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكِهِ بآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا
جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ
مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ وَأَنْتَ الْعَلِيُّ
ءَابَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبَرِيَّاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ
بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا
جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ * فَلَمَّا
أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ
لَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ
بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * فَمَّا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً
مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ
فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ * وَقَالَ مُوسَى
يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ

مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا
بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ
وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن
سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا
يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدِّمُوا
دَعْوَتَكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعِ الْيَهُودَ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ *
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ
بَغِيًّا وَعَدَّوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَّنتُ أَنزَّهُ لِي
إِلَّا السَّذِرَةَ ءَأَمَّنتُ بِهِم بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ *
ءَأَنَ وَقَدِّمْتُمْ لِي قِبْلًا وَكُنْتُمْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْقَوْمِ الَّذِينَ
بِعَدَنِكَ لَئِن كُنْتُمْ لِمَن خَلَفَكَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَن
ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ * وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِيقَاتَ صِدْقٍ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
إِن رَّبُّكَ يَقْضِيٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ * فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ
الَّذِينَ يَقْرءُونَ الْكِتَابَ مِّن قِبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ } ، وطلبهم في موضع آخر طلب إعجاز أن
يأتوا بالشهداء الذين يشهدون لهم أن الحرام هذا ، ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم إن شهد
لهم شهود زور أن يشهد معهم ، وهو قوله تعالى : { قُلْ هَلْ هُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّهُ حَرَّمٌ هَٰذَا وَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُوا مَعَهُمْ }
إلى غير ذلك من الآيات . ! 77 ! قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتِ أُخْرَاهُمْ لِإِيَّاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَأُتَاهُمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ } . .

لم يبين هنا السبب الذي مكنهم من إضلالهم ، ولكنه بين في موضع آخر : أن السبب الذي
مكنهم من ذلك هو كونهم سادتهم وكبراءهم ، ومعلوم أن الأتباع يطيعون السادة الكبراء فيما
يأمرونهم به ، وهو قوله تعالى : { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا

وَكَبِيرَ آءَانَا فَأَضَلَّ نُوزَا السَّبِيلَا رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
 الْعَذَابِ { . وبسط ذلك في سورة (سبأ) بقوله : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
 مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ
 الَّذِينَ اسْتَضَعُفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَأَنتُمْ لَكُنَّا
 مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُفُوا أَنَحْنُ
 صَادِقُونَ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مَّجْرِمِينَ وَقَالَ
 الَّذِينَ اسْتَضَعُفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ السَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَ نَا أَن نَّكَفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا
 } . .

قوله تعالى : { فَأَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ } . .

وبين تعالى في هذه الآية الكريمة ، وأمثالها من الآيات : أن الأتباع يسألون □ يوم
 القيامة أن يضاعف العذاب للمتبوعين ،